الشاذلي : أحتضن .. ام واجهة الخلاص

عن الشاذلي مرة ثانية :

قنبلة حقيقية ... أم مجرد مسيلة للدموع ؟!

ماهي القوى الاجتماعية التي يمثل الشاذلي مخلّصها المنتظر ؟

يقول القادمون من القاهرة ان تصريحات وشخصية الفريق اول سعد الشاذلي هي الشغل الشاغل للشارع المصري ، وان ثمة اهتماما عاما بما قاله القائد العسكري السابق الذي ارتبط اسمه في الوجدان الشعبي بعملية العبور في حرب تشرين ٧٣ .

ويصف هؤلاء القادمون هذا الاهتمام بشخصية الفريق الشاذلي بأنه اهتمام مختلف نوعيا عن ذلك الاهتمام الذي شغل به الناس فترة قيام حرب الوفد وما صحبها من هجوم على الحكومة وهجوم مضاد من النظام عليه ، كما انه يختلف نوعيا - في رأي هؤلاء - عن الاهتمام بما شكلته ظاهرة حزب التجمع الوطني الوحدوي من استقطاب لقطاعات عريضة من الجماهير المصرية .

فقد فجر الفريق الشاذلي قنبلته الاعلامية في وجه النظام الساداتي في وقت اعلن فيه « الوفد » عن حل نفسه بعد ان ادركت قياداته بما تمثله من مصالح طبقية انها لا تستطيع الاستمرار في العمل السياسي خارج مظلة النظام وان تناقضت مع بعض ممارساته بشكلة معارضة في الاسلوب ..

لقد تخلى « الوفد الجديد » بحكم الصراع الطبقي في مصر لا عن مغازلة الوفد القديم للجماهير الشعبية الواسعة فقط ، بل وايضا تخلى عن تمثيل مصالح البرجوازية المصرية الصغيرة تلك الشريحة الاجتماعية الواسعة والتي شكلت تاريخيا اوسع قاعدة جماهيرية للوفد واكثرها دعما له حتى عرف الحزب في وقت من الاوقات بحزب « الافندية » في مقابل احزاب الاقلية التي كانت تمثل مصالح « البكوات والباشاوات » ! لقد وقف « الوفد الجديد » على ارضية نظام السادات الطبقية ، في وقت يعاني فيه هذا النظام امراض ما قبل السقوط !

وجاء بروز شخصية الفريق الشاذلي التي تعني عند رجل الشارع بروز دور الجيش . في نفس الوقت الذي جمدت القوى المعارضة الثانية وهي حزب « التجمع » من نشاطها السياسي واوقفت اصدار صحيفتها التي شكلت بأعدادها الثمانية عشر تنفيسا عن مطالب الجماهير المزمنة سواء بالتعبير عن المطالب الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماهير او بكشف الفساد الخيالي داخل قمقم التحالف الطبقي الحاكم ، ولقد كان قرار حزب « التجمع » بتجميد نشاطاته ترجمة امينة من قياداته للصراعات الدائرة داخل قواعده وكوادره . تلك الصراعات التي تعكس مصالح وافكار الفئات الاجتماعية التي اختارت ان تناضل سياسيا عن طريقه رغم اختلاف المنطلقات الفكرية والسياسية التي املت على هذه القوى الموافقة على الاستظلال بمظلته .. لقد وجدت قيادة الحزب نفسها محاصرة بمطالب النظام الحاكم الذي يصر بشراسة على اعادتها لمكانها الذي اراده لها ، اي تعود كيسار له وان تتخلى فورا عما استثمرته من حيز ديمقراطي ضيق رغم أن هذا الاستثمار « لم يمكن الحكومة من ادانته او ادانة اي فرد من افراده بالخروج على القوانين » . كما جاء في التقرير السياسي الاخير للحزب والذي تلي على الجمعية العمومية في العاشر من الشهر الحالي .. كما وجدت نفسها محاصرة بمطالب وضغوط قواعد وكوادر الحزب التي ترفض ذلك النهج الاصلاحي ، بعد ان كشفت تجربة العامين اكذوبة لعبة الشرعية والديمقراطية .. واذا كان الشعار الذي التفت حوله الجمعية العمومية (٤٠٠ يمثلون ١٥٠ الفا) هو « لن نقدم للحكومة هذه الخدمة بحل حزبنا بل ندعها تتحمل كل المسؤولية عن الغاء اخر مظاهر ديمقراطيتها المزعومة » فان الترجمة العملية لقرار التجميد تعني بوضوح فرزا جديدا داخل الحزب بين الذين ما زالوا يتعلقون بوهم الشرعية والقانون ، اولئك المصرين على الفصل بين الحكومة والنظام والمطالبين بتوفير افضل الشروط للنضال السياسي ، تلك الشروط التي يمكن ان تتحقق في ظنهم ورغباتهم - عن احد طريقين :

الاول : ان يعود السادات الى صوابه بعد حكم تصدره المحاكم بعدم دستورية قوانينه الاخيرة !

والثاني : ان يأتي مخلص عاقل فيزيح الحكومة - او الحكومة والسادات معا !

جلد النمر الذي تمزق سريعا !

لم تمض اسابيع على ارتداء السادات لجلد النمر في محاولة يائسة لتمثيل دور القادر على القمع والسحل والفرم واراقة الدماء لكل من تسول له نفسه معارضة نظامه .. وما كاد يبدأ رقصته الفاشية امام اسياده الصهاينة والامريكيين حتى بدأت المعارضة داخل المؤسسات الحاكمة ثانية تفسد عليه رقصته .

● فالصراع داخل حزبه الحاكم بدأ يدب ويعلن عن نفسه بفعل الفراغ الفاغرفاه ليبتلع الجميع بعد القوانين الاخيرة - فالحزب الحاكم ليس حزبا ولكنه تحالف غير مبدئي بين الشرائح البرجوازية المستفيدة التي برزت تناقضاتها الثانوية فور ازاحة القوى المنافسة « الوفد الجديد » وتجميد القوى المنفضة (التجمع) . ولم تستطع هذه القوى المكونة للحزب الحاكم الصبر حتى يأتي ٢٣ تموز ليعلن السادات مفاجأته ! بل بدأت تطالب باعادة ترتيب مصالحها فورا قبل ان ينهار البناء على رأس الجميع . بالاضافة الى ان ثلاثة ارباع الاسئلة وطلبات الاحاطة البرلمانية الموجهة الى وزراء الحكومة موجهة من نواب الحكومة انفسهم ! معبرة عن التناقضات الصغيرة بين مصالح صغار المستفيدين داخل التحالف الحاكم وكبارهم ..

● واذا كانت زيارة « الجمسي » للولايات المتحدة بما تضمنته من اتفاقات خاصة ولقاءات ودية ، قد اعادته « جنديا غير سياسي ينفذ قرارات السادات » كما وصف نفسه ، فان موقف الولاء التام من الجمسي ومن حسني مبارك وقيادة القوات الجوية ، لم يلغ التناقضات والسخط داخل المؤسسة العسكرية وان اخفاها عن الاعين قليلا ..

قنبلة حقيقية ... ام مسيلة للدموع ؟!

يشير القادمون من القاهرة والمراقبون لسياسة النظام الساداتي بأن قنبلة الفريق الشاذلي وان انفجرت من داخل مؤسسات النظام وعلى يد احد رموزه السابقين رغم الاختلافات القديمة الجديدة - فانها ليست من النوع المسيل للدموع الذي ما يلبث أن تزول تأثيراته . ولكنها قنبلة حقيقية اصابت نظام السادات في مقتل وان لم تظهر اثارها علانية ، وان هذا هو السبب في الاهتمام الواسع للشارع المصري بالشاذلي وتصريحاته ومواقفه ..

ويهمنا هنا ان نوضح ما يعنيه هؤلاء المراقبون بالشارع المصري .. فهم بالتأكيد ليسوا جماهير العمال وفقراء الفلاحين وفقراء المدن فهؤلاء جميعا تسحقهم عجلة الازمة الاقتصادية بلا هوادة فلا تترك لغالبيتهم القدرة على « ترف » ملاحقة الانباء والانشغال بصراعات السلطة .. بينما لا تعلق طلائعهم الثورية امالها على التغيرات الفوقية للسلطة الحاكمة ..

هذه الجماهير الواسعة والمسحوقة والتي لا تكف الصحف الغربية عن التنبؤ بقرب انتفاضتها الشعبية القادمة التي يجثم شبحها على صدور رموز النظام بدءا بالسادات حتى وزير داخليته الذي اعلن مجلس « الشعب » في ٢٧ الجاري بأن أي قوى تحاول القيام بعمل « تخريبي » سيطاردها بنفسه في الشوارع !!

ووزير الداخلية الذي لم يستطع بكل اجهزته المخترقة وبكل الاجهزة المعاونة تقديم دليل اتهام واحد ضد الاف المناضلين الذين يلقى القبض عليهم ! لم يبارح ذاكرته بالتأكيد ما حدث لسلفه اللامأسوف عليه (سيد فهمي) الذي اطاحت به الانتفاضة الشعبية في العام الماضي رغم انه كان اكثر منه قدرة وتصريحا وتلفيقا ..

جماهير الشارع المصري المشغولة والمهتمة بقنبلة الفريق الشاذلي هي البرجوازية الصغيرة والمتوسطة في المدن والتي تعيش ظروف سياسية واقتصادية قاهرة ، والتي لم تمل منذ موت عبد الناصر الحلم « بالمخلص » .. ذلك « المخلص » الذي تمثلته احيانا في « السادات » عندما وعدها باضافة الحرية السياسية الى الحرية الاجتماعية والاقتصادية محققا لها فردوسها المفتقد واذا بالايام تكشف لها سريعا عن وجهه بعد أن سلبها الحرية والمستوى الاقتصادي اللائق معا غير مبق لها حتى الزهو الوطني ! كما تمثلت هذا المخلص في التجربة الحزبية والصراع الديمقراطي والبرلماني فاذا كل الديكور الهش ينهار باستفتاء !

هذه القوى الاجتماعية سريعة التأثر والتأثير في الشارع المصري هي التي تلفت قنبلة الشاذلي التي جاءت بالنسبة لها في وقتها تماما - وهذه القوى هي التي تضغط داخليا بوسائلها الخاصة لتحول قنبلة الشاذلي الى قوة مخلصة لها .. رابطة بين تحركات الشاذلي المعارضة لسياسة السادات وبين العوامل الداخلية والخارجية المساعدة على انجاح هذه التحركات :

● فالشاذلي شاء النظام الساداتي ام ابى يرتبط بالقوى الوطنية في الجيش تلك القوى التي حاربت واستشهدت لتستثمر السلطة الحاكمة دماءها وتضحياتها وبطولاتها وهوانها لصالحها فقط ولا تترك لها الا الفتات .

● والشاذلي كما يبدو من تصريحاته ومن الاهتمام الاعلامي به يلاقي قبولا وتأييدا من الانظمة العربية الوطنية ..

● والشاذلي يؤكد في كل تصريحاته واحاديثه على ضرورة الاعتماد على المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي بالذات كحليف وكمصدر للسلاح ..

● وهو متتبع لما جرى ويجري داخل الجيش وهو في نفيه للعلاقة المباشرة بالقوات المسلحة يتبع الطريقة المألوفة « النفي لزيادة التأكيد » .

● واجهزة السادات التي تطلق عواءها من اجل القاء القبض على عشرة شبان ادانتهم بقلب نظام الحكم ، وترفع سيفها الخشبي في وجه خمسة وثلاثين صحفيا يعملون في صحف لا تصل الى القاهرة ، اربكتهم قنبلة الشاذلي غير المتوقعة فلم يجدوا ازاءها غير التصريح المضحك بأنها كانت على علم بعلاقاته مع السوريين والليبيين منذ عامين ؟! مما اعطى هذه القوى يقينا بأن اجهزة السلطة لا تعرف شيئا عن الشاذلي وارتباطاته الداخلية والخارجية ، وزاد من هذا اليقين تجاهل السادات للامر وهو الذي « يخطب على نفسه » كما يقول المصريون .. مما يعني انه فهم رسالة الشاذلي على وجهها الصحيح ، كانذار واضح بأن هناك قوى تتحداه غير تلك التي ظن انه شطب عليها باستفتائه ، وان هذه القوى لا تؤمن بالحرب الكلامية ، وان الشاذلي الذي ظل صامتا وممثلا شرعيا للنظام خلال عمله كسفير عندما يتكلم فهو ليس سفيرا غلبه ضميره الوطني كمراد غالب فترك المنصب في صمت ، ولكنه رجل فعل انتظر الموقف المناسب ليعبر عن قراره الذي اتخذه وهو في الاراضي المقدسة في الوقت الذي كان فيه السادات يؤدي فريضة الحج الى مقر العدو الصهيوني !! (هل المقصود احراج النظام السعودي ، ام مغازلة القوى الدينية ذات الضجيج العالي داخل مصر .. ام الاثنين معا ؟!) لقد بدأ الرد الساداتي على قنبلة الشاذلي بابعاد القيادات العسكرية التي عملت معه مباشرة .. ثم في الاشاعات التي سربت بتركيز عن أهلال الجمسي محل ممدوح سالم في رئاسة الوزراء تملقا للقوات المسلحة ... ثم في محاولة احياء الدعوة الى مؤتمر قمة عربي « لكي تتخذ جميع الدول العربية موقفا مشتركا من المفاوضات مع اسرائيل » في محاولة مكشوفة للغزل مع الانظمة العربية التي تتعاطف مع الشاذلي وما يمثله .

لقد القى الشاذلي بقنبلته وتركها تفعل فعلها على مهل - وسواء كان هو نفسه « المخلص » الذي تحلم به البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، والتي احيت تصريحاته املها العودة الى مواقعها الاجتماعية في عهد عبد الناصر .. ام كان صوتا لقوى داخل الجيش اختارته معبرا عنها مثلما اختار الضباط محمد نجيب واجهة لهم في ١٩٥٢ .

وسواء صح هذا الاحتمال او ذاك بأن الشهور القادمة ستشهد ما اذا كان سيسدل الستار على مهزلة الحكم الساداتي لمصر واذا ما كانت يد الشاذلي وما تمثله احدى الايادي التي شرعت اسدال الستار !

مؤتمر الشعب العربي :

« قرار اتهام السادات بالخيانة العظمى يعلن خلال ايام »

● اصدرت الامانة العامة لمؤتمر الشعب العربي بيانا ختاميا عن دورتها السادسة التي عقدتها خلال الفترة من ٢١ حتى ٢٥ من الشهر المنصرم في طرابلس بالجماهيرية واستعرضت فيها الموقف السياسي العربي والدولي .

وذكر البيان ان القرارات التي اتخذت بالاجماع تتعلق بانجاز الترتيبات المتعلقة بمراحل محاكمة الرئيس المصري والتي تقرر ان تبدأ خلال الايام القادمة بمؤتمر صحفي كبير يعقد في دمشق ويعلن فيه قرار الاتهام ثم تعقد جلسات المحاكمة في بغداد، وقد تشكلت هيئة المحكمة وهيئة الاتهام من مناضلين سياسيين وقانونيين عرب من اقطار الوطن العربي :

كما اتخذت الامانة الدائمة « قرارات مناسبة تعزز طاقات النضال العربي الثوري وفي مقدمة هذه القرارات تأكيد حق الثورة الفلسطينية في الوجود في جنوب لبنان وفي ممارسة الكفاح المسلح من كافة الاراضي العربية ودعم القوى الوطنية والتقدمية العربية الثورية وتدعيم تلاحمها في مواجهة العدو الصهيوني وتعزيز جبهة الصمود والتصدي بدعوة العراق للانضمام اليها وفق برنامج نضالي قومي » .

واكدت « تأييد ودعم الحركة الوطنية المصرية التي تقاوم ببسالة سياسة الرئيس المصري الخيانية المفرطة بالحق القومي واجراءاته القمعية واستهتاره بالقيم الديمقراطية» . وقررت «دعم النظام التقدمي في اليمن الديمقراطي ودعم حركات التحرر الوطني والجبهة الشعبية لتحرير عمان للمحافظة على عروبة الخليج ودرء الاخطار عنه وتأييد الجهود المبذولة لحل المشكلة الارتيرية » .

واستنكرت الامانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي في بيانها التدخل الامبريالي المسلح الذي لجأت اليه فرنسا في القارة الافريقية، واكدت ان العدوان المجرم على شعوب الصحراء وتشاد وزائير الذي اتخذ شكل الابادة انما يشكل حلقة من مؤامرة امبريالية استعمارية تستهدف الامة العربية وشعوب افريقيا على السواء .

وحيت في ختام بيانها صمود فصائل الثورة الفلسطينية وابناء الجنوب اللبناني الواقفين بثبات في وجه العدو الصهيوني - الانعزالي . وكذلك ابناء الشعب العربي الفلسطيني في داخل الارض الفلسطينية المحتلة الذين يقاومون الاحتلال الصهيوني ويتحدون وجوده في أصعب الظروف واقساها .

كما حيت الامانة الدائمة نضال الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ومنظمة سوابو في جنوب افريقيا ، وتوجهت بالتحية ايضا الى الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز والقوى التقدمية والديمقراطية في العالم « التي وقفت وتقف الى جانب نضال امتنا » .